

٣- الثورة المصرية ١٩١٩

للاستاذ أبو الفتوح عطيفة

بين الماضي والحاضر :

في زحام هذه المواطن الوطنية المتأججة في وادي النيل من منبته إلى مصبه .. أكتب إليك أيها الأخ الكريم وأحاول أن أربط بين ماضٍ مجيد وحاضر ليس أقل منه مجداً . وما هو جدير بالتسجيل ذلك الوعي الكامل الذي يبديه شعب وادي النيل لقضيته وإيمانه بها وضيطة لأعضابه رغم ما تتفجر به نفس كل فرد من أفرادها من المواطن المنهبة .. وذلك إرضاء لحكومته وطوعاً لمشيئتها

وأحب أن أسجل أيضاً أن القوات البريطانية ما زالت

مجايل شيطان الأساليب لم يدع مجالاً لشيطان بين مرید

o o o

على النيل يا ابن النيل أطلق شرعنا
وأرسل على الوادي حاتم أيكه
وقل يا عروس النبع هاتي من الجنى
وهي عذارى النخل فرعاء وراقصي
ألا يا أخى وأملاً كؤوس محبة
أذا هي هانت فانح للشمس نورها
وقل يا سماء النيل ويحك ألقى
وغبضى هيون الماء أرفق تجرى
بارحة الله للشاهر الخالد ، إنه في معركة الحرية لا يزال
بسمنا صوته وهو في عالم الفناء .. واليوم حين تبلم المعركة
أوجها يتخلف عن الإنشاد شعراؤنا الأحياء !!

مستعمرة في عدوانها الوحشي على سكان منطقة القنال المزمل ،
ففي كل يوم قتييل وشهيد وسلب ونهب واعتداء على الحريات
واحتلال للأماكن والبلاد وتحكيم للقوة وعسف وظلم وجور ؛
فليستمر البريطانيون في عدوانهم فإن ذلك كسب لصر ، وليملوا
أن كل دم يراق إنما يندى شجرة الحرية في وادي النيل ، وليملوا
تماماً أن مقامهم في وادي النيل قد أصبح غرباً من الحال

وقد انضمت فرنسا الفاجرة وأمريكا الآتمة إلى بريطانيا
فأيدتا حياستها ووافقتا عليها فانتصرتنا للآثم والعدوان ، وهكذا
أثبتت الدولتان ما لم يكن خافياً علينا نحن للشرقيين من أن هذه
الدول لا تريد بنا خيراً ، وإنما تريد علينا سيطرة واستعماراً . إن
هذه الآثم تدعى أنها نصيرة الحرية ، ومع هذا تظمن الحرية في
مصر والشرق كلها رجعت إلى ذلك سبيلاً . فليعلم هؤلاء الطغاة
أن نهايتهم أقرب مما يتصورون

وقد وقفت الأقطار العربية الشقيقة بجانب شقيقهم الكبرى
مصر مما هز أركان الاستعمار الإنجليزي وزلزل دعائم الاقتصاد
الأمريكي

وفي يوم الثلاثاء ٢٣ من أكتوبر ١٩٥١ وقفت مصر نحوي
ذكرى شهدائها الذين أراق الطغاة دماءهم في يوم الثلاثاء ١٦ منه
فقامت المظاهرات الوطنية في القاهرة والإسكندرية وشتى المدن
والبلاد ، وأضرب الطلاب عن تلقى دروسهم وأفانق التجار
متاجرهم وامتنع المحامون عن مزاوله أعمالهم في جميع المحاكم ،
ولم يخل شبر في أرض الوطن العزيز من صوت يتقطع في صدر
صاحبه .. هو صوت الحزن على ما أريق من دماء الشهداء . وقد
تجلى في هذه المظاهرات جلال الوطنية وجلال القدي كرى وإجماع
الأمة وتأييدها لحكومتها

وفي السودان قامت المظاهرات تطالب بالحرية وتطرد المحتل
الأجنبي والمستمر الظالم حتى اضطر الحاكم العام الإنجليزي أن
يطلب من قائد طام القوات المصرية التدخل لحفظ الأمن
وإقرار النظام

لرؤس محاليسى من بهر :

لقد حولت مصر أن تقيم علاقتها مع الدول الغربية على

أنور المرادى

وانتصرت في النهاية وستحقق جميع أمنها إن شاء الله
كانت الحماية إذن -سبب ثورة ١٩١٩ الرئيسي، وبمحاول
المؤرخون أن يكتفوا من أسباب الثورات . صحيح كانت
هناك عدة أسباب أخرى أهمها المظالم التي طأها الشعب من
السلطة العسكرية ومن الأحكام العرفية، فن استيلاء على القوات،
ومن دفع المصريين قسرا إلى ميادين القتال باسم التطوع وبجنيد
أكثر من مليون عامل وموت كثيرين منهم بيميدا عن الوطن،
وإصابة الآخرين بأمراض وعاهات إلى حجر على الحريات ورقابة
على الصحف وحل الجمعية التشريعية ونفي الوطنيين الأحرار
واعتقال المخلصين والرجح بهم في السجون والمعتقلات، الخ

ويضاف إلى هذا الوعي القومي الذي أوضح للمصريين
حقيقة نوايا بريطانيا، وذلك يرجع من غير شك إلى جهود الوطني
الأول مصطفى كامل باشا وخليفته محمد فريد بك، وكذلك
ما ارتكبه إنجلترا من فظائع في وادي النيل كان أشهرها من
غير شك حادثة دنشواي ١٩٠٦

وهنا أحب أن أذكر أن إنجلترا حين احتلت مصر قد لجأت
إلى الحيلة والخداع : خدعت مصر إذ أعلنت منذ احتلالها مصر
١٨٨٢ عزمها على الجلاء. وأنها لن تقيم بمصر، وخدعت العرب
جميعا حين ألتمهم على تركيا في أثناء الحرب الكبرى الأولى إذ
وعدتهم بتحقيق استقلالهم إذا عاونوها، فثار العرب ضد الأتراك
حلفاء الألمان، وكان لمصر وللدرب فضل كبير في كسب إنجلترا
للحرب الأولى وكذلك انتصرت في الحرب العالمية الثانية بفضل
مؤازرة مصر لها، ومع هذا لم تلق مصر والبلاد العربية إلا شر
الحزاء من الإنجليز، فهم الذين مكثوا للصهيونيين من احتلال
فلسطين وتشريد العرب وهم أصحاب البلاد الأصليين منذ آلاف
السنين؛ وما هي ذى بريطانيا تسفك دماء المصريين ظلما
وعدوانا وترفض الجلاء عن مصر وتقف عقبة أمام وحدة
الوادي، وهي بهذا لا تبقى خيرا لنفسها ولا لمصر ولا للسودان
الاساء ما تفعل !! ولو أن بريطانيا أعلنت حقيقة نياتها منذ
الاحتلال وعزمها على البقاء والإقامة في وادي النيل لقيت عنتا
شديدا وإرهاقا فظيما

وقد عبر عن هذا المعنى معالي الدكتور محمد صلاح الدين باشا

أساس الحرية والاحترام المتبادل، ولكن هذه الدول أمنت في
فيها، فلما طالت المفاوضات اضطرت مصر إلى إلغاء معاهدة
١٩٣٦ واتفاقية ١٨٩٩ التي تربطها ببريطانيا وبدأت
معركة التحرير

وقد وقعت فرنسا وأمريكا بجانب إنجلترا، وهنا تقربت
روسيا من مصر وطالبت أن تعقد اتفاقا تجاريا واسع النطاق معها
على أن تكون لها الأولوية في شراء قطن مصر وعلى أن تعامل
معاملة الدول الأكثر رعاية في مقابل أن تسدر إلى مصر
ما تحتاج إليه من أسلحة وذخائر وأخشاب وورق وقح
وبترول الخ

وقد ذمعت أمريكا، فإن الاستثمار الأمريكي استثمار
اقتصادي ونهم أمريكا بفتح أسواق لتجارها، ولعلنا جميعا نعلم
مدى اهتمام أمريكا بمنطقة الشرق الأوسط إن ذلك يرجع إلى
عاملين: أولا هذه المنطقة أغنى مناطق العالم بالبترول -ثانيا . هذه
المناطق يمكن أن تصبح أسواقا هامة للتجارة الأمريكية

ولما كانت عداوة أمريكا وإنجلترا لمصر ستؤدي إلى انتشار
التجارة الروسية في مصر والشرق الأوسط . فقد اضطرت
أمريكا إلى أن تحاول القضاء على الفكرة، وعرضت على مصر
وساطتها في حل الخلاف القائم بينها وبين إنجلترا في ٢٤ أكتوبر
١٩٥١ . ولنا ندرى كيف ينتهي أمر هذه الوساطة

الحماية والمعاهدة :

في سنة ١٩١٤ أعلنت إنجلترا الحماية على مصر ولم تكن
مصر قد طلبت هذه الحماية، ولقد كانت الحماية باطلة من وقت
إعلانها، ومنما ثورة مصر في وقت كانت بريطانيا في حالة
حرجة - إذ كانت الحرب قد قامت بينها وبين ألمانيا - أعلنت بريطانيا
أن الحماية ضرورة حربية تنتهي بانتهاء الحرب . فلما انتهت الحرب
وانتصرت طلب المصريون إنهاء الحماية وإعلان استقلال مصر،
ولكن بريطانيا رفضت فثار مصر تطلب استقلالها وحريتها
ولم تهرب قوة إنجلترا التي خرجت ظافرة من الحروب العالمية
الأولى، وانطلقت بريطانيا تمتدى على المصريين فأسالت دماء
الأبرياء. وثقت الزعماء، ولكن لم ترضف مصر بل صمدت

في كلمته التي ألقاها في مؤتمر الميثاق الوطني الذي عقد بالقاهرة في ٢٤ / ١٠ / ١٩٥٦ أوجز تعبير حيث قال : « إننا خدعنا طويلا ، وجاء علينا الدور لنخدع من خدعنا ، ونخضع من أخضعنا ، وأن تكون كلمتنا هي المايا . »

كانت الحماية إذن هي السبب الرئيسي لقيام ثورة ١٩١٩ ، وقد أعلن زعماء مصر أنهم يطالبون استقلال بلادهم منذ الساعة الأولى . أعلنوه حين قابلوا المتمد البريطاني في ١٣ نوفمبر ١٩١٨ ، وأعلنوه في النداء الذي وجهوه إلى ممتدى الدول الأجنبية في ديسمبر ١٩١٨ والذي جاء فيه :

« باسم الوفد المصري أعلن إلى كل أجنبي في مصر من ذوى المصالح أن هذا الوفد الذي يسعى بذمة أهل البلاد بقرن بسميه للاستقلال احترام المصريين لحقوق الأجنبي كل الاحترام » وأنتم ذلك ببيان في ١٠ يناير ١٩١٩ جاء فيه :

١ : إن مصر تطلب استقلالها :

أ : لأن الاستقلال حق طبيعي للأمم .

ب : لأن مصر لم تهمل قط أمر المطالبة بهذا الاستقلال ، بل هي قد سفتت في سبيله دماء أبنائها
ج : لأن مصر تعتبر نفسها الآن خالصة من آخر رباط كان يربطها بتركيا وهو رباط السيادة الإسمية

د : لأن مصر ترى أن الوقت قد حان لأن تعلن استقلالها التام الذي يؤيده مركزها الجغرافي وأحوالها المادية والأدبية
٢ - تريد مصر أن تكون حكومتها دستورية

وفي ٧ فبراير ١٩١٩ أعلن سعد زقلول باشا في خطبة له في دار جمعية الاقتصاد والتشريع بطلان الحماية قانونا حيث قال :

« إن بلادنا لما استقلت ذاتي ضمنته معاهدة لندن ١٨٤٠ واعترفت به جميع المعاهدات الدولية الأخرى . . إنكم تعلمون أيها السادة وكل علماء القانون الدولي يقررون أن الحماية لا تنتج إلا من عقد بين امتين ، تطلب إحداها أن تكون تحت رماية الأخرى ، وهبل الأخرى تحمل أعباء هذه الحماية ، فهي تهجبة

عقد ذى طرفين موجب وقابل ، ولم يحصل من مصر وإن يحصل منها أصلا

في ١٩١٤ أعلنت إنجلترا حمايتها من تلقاء نفسها بدون أن نطلبها أو تقبلها الأمة المصرية ، فهي حماية باطلة لا وجود لها قانونا . بل هي ضرورة من ضرورات الحرب تنهى بنهايتها ولا يمكن أن تبتس بعد الحرب دقيقة واحدة . »

وهكذا كانت الحماية المامل الرئيسي في قيام ثورة ١٩١٩ وقد نجحت مصر في إلانها ١٩٢٢ وإعلان استقلالها ثم انتهى الأمر بقيام معاهدة ١٩٣٦ بين مصر وإنجلترا . وبما كانت هناك ضرورات أدت إلى توقيع هذه المعاهدة ١٩٣٦ ولكن الواقع أن هذه المعاهدة كانت كارثة على مصر فإنها لم تحقق للتبيل وحدته بل أكثر من هذا أنها اعترفت بشرعية الاحتلال . وقد وقفت مصر بجانب بريطانيا أثناء الحرب العالمية الثانية وانتهى الأمر بانتصار بريطانيا فعملت مصر على مفاوضة بريطانيا لتعديل هذه المعاهدة على أساس تحقيق أهداف مصر وهي الجلاء التناجز عن الوادى وتوحيد مصر والسودان تحت تاج واحد ، ولكن ذهبت جهود المفاوضين المصريين عبثا ، واضطرت مصر إلى إلغاء هذه المعاهدة وإلغاء اتفاقيتي السودان ١٨٩٩ ثم وضع نظام دستوري لحكم السودان وقيام دولة اتحادية من مصر والسودان وأصبح جلالة الملك فاروق ملكا لهذه الدولة وأصبح لقبه ملك مصر والسودان

وبما يجدر ذكره أنه كما كانت الحماية باطلة قانونا فإن معاهدة ١٩٣٦ بدورها باطلة قانونا ، وقد سجل ذلك الحق أوتهايم استاذ القانون الدول بجامعة كبردج في مؤلفه العالمى عن ميثاق هيئة الأمم المتحدة فذكر أن معاهدة ١٩٣٦ لا تتفق في شيء ما مع هذا الميثاق فهي باطلة من أساسها ، إذ تنص المادة ١٠٣ من الميثاق على أنه : « إذا تنازحت الالتزامات التي يرتبط بها أعضاء الأمم المتحدة وفقا لإحكام هذا الميثاق مع أى التزام دول آخر يرتبطون به فالعبرة بالالتزامهم المرتبة على هذا الميثاق »

لربنا فكلام بديع أوبر القصر عطية